موقعة صفين في كتابات المؤرخين
(دراسة وتحليل)

إعداد

دكتور/ عبد العزيز بن عبد الله السالم

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة الإمام محمد بن سعود

مجلة كلية دار العلوم العدد الثاني عشر ديسمبر ٢٠٠٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موقعة صفين فى كتابات المؤرخين

(دراسة وتحليل)

د. عبد العزيز بن عبد الله السالم

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

جامعة الإمام محمد بن سعود

المقدمة :

تأسست الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة بعد هجرة الرسول الكريم ﷺ من مكة حينما وصل إلى المدينة مهاجرا من مكة ، فأرسى قواعدها وشرع لها أحكامها ونظمها وقوانينها بشهادة القرآن الكريم (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) .

والحقيقة أن رسول ﷺ ترك المسلمين ما أن تمسكوا به لن يضلوا بعده أبدا ، كتاب الله وسنة نبيه ، ثم اختار جوار ربه عز وجل في الحادية عشرة للهجرة ليتولى المسؤولية من بعده خيار أصحابه رضوان الله عليهم أجل لقد كانت المهمة صعبة فقد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أخرها وأولها ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يعلم عظم هذه المسؤولية التي تركها لأصحابه ، ولذلك أعد العدة المناسبة ، فقد اقتبس رجاله من هديه وساروا على نهجه .

وفي تلك الدراسة ركزت على موقعة صفين مستخدما فيها نقد الروايات وخاصة فيما يتعلق بالفتنة التي أوردت بعثمان رضي الله عنه لأن بعض المؤرخين يكاد على أن يدا خفية وراء تحريك الفتنة بين المسلمين ، ولكنهم مع هذا يختلفون في تفسيرها ، وقد استطعت بقدر الإمكان أن أبين الدور الذي لعبه اليهودي عبد الله سبأ في تلك الفتنة وإشعالها .

وأحداث التاريخ مهما كانت بادية للعيان ، فلا بد أن تبقى بعض زواياها وفيها شئ من الخفاء –وليس الخفاء كله – وهذه الزوايا مجال كبير يخوض فيه والمؤرخون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمحلـــون ، ومن أن يخرجوا بنتائج متغايرة ومتفاوتة نتيجة لتفاوت العقول واختلافها في نظرتها إلى وتفسيرها لها .

ذلك أم المؤرخين جميعا قديما وحديثا يجمعون أن يدا خفية كانت وراء تحريك الثوار وإشعال نار الفتنة بين المسلمين ، وقد تناولت ذلك بإيجاز دراسة وتحليلا والله أن يوفقنا جميعا إلى الصواب والله أعلم .

قـــبل أن نـــبدأ الحديـــث عن يحسن بنا أن نستعرض بإيجاز أحداث الفتنة التي أوردت بمقتل الخلفية عثمان بن عفان رضي الله عنه . لقد أخبر الرسول ﷺ عثمان عم بلـــوى تصبه [1] وبشره أيضا بالشهادة ، كما روى البخاري – أن رسول ﷺ صعد أحدا ومعـــه أبـــو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال : اسكن أحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان [2]

والـــروايات الواردة في سرد أحداث الفتنة كثيرة ولكنها متناقصة ومتضاربة ، ممـــا يســـتدعى تحكـــيم علـــم" مصـــطلح الحديث "لمعرفة الصحيح من هذه الروايات وبالعكس، وكذلك من حيث هي أخبار تتلائم وتتجسم في صحتها وضبطها ، وكذلك من حيث موافقتها للروايات الصحيحة التي اقتصرت على ذكر القليل من أخبار هذه الفتنة، مما ذكرته كتب الحديث المعتمدة أو كتب التاريخ المسندة ، ومن تلك الروايات :

١. رواية أبي مخنف بن يحيى (ت٢٥٧ م) الذي نقل لنا روايته البلاذي .
٢. روايـــة محمـــد عمـــر الواقدي(ت٢٠٧ هـــ) وينقل لنا روايته كل من البلاذي والطبري .
٣. روايـــة سيف بن عمر التميمي (ت١٨٠ تقريبا) التي وصلتنا رواية عن طريق الطبري .

---

(١) فتح الباري(٥٣/٧).

(٢) فتح الباري (٥٣/٧) وأبو داود كتاب السنة (٢١١/٤) رقم(٤٦٤٨) وأحمد (١١٣/٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمـــا مـــا تبقى من الأخبار التي وصلتنا فلا تذكر سردا للحادثة بل تكتفي بذكر جزئـــيات لـــبعض وقائعهـــا فبعضـــها نقـــل لنا بأسانيد صحيحة ، وبعضها ليس كذلك وبإمكانها الآن نقد هذه الروايات :

ﷺ النقد الخارجي :

والحكـــم فـــي ذلـــك – كما قلنا على مصطلح الحديث ، فلو نظرنا إلى هؤلاء الـــرواة الـــثلاثة لوجدناهم يتجهون اتجاهات مختلفة لها أهميتها في نظر علماء الحديث من ناحية الجرح والتعديل ، وما ينبني على ذلك من قبول رواياتهم أوردها .

فمـــثلا أبـــو مخنف: شيعي يعز عليه أن يظهر عثمان بظهر الخليفة ، ومن هنا فإنـــنا حينما نحكم عليه من خلال علوم الحديث ، لا نجد أساسا إلا القاعدة التي تقول : إن صاحب البدعة أو المذهب السياسي لا يقبل خبره يدعم بدعته (١)

هـــذا فـــي صـــاحب البدعة الثقة فإننا لا نقبل هذا النوع من رواياته ، فما بالك برلو اعتبره العلماء ضعيف ويروي ما يؤيد بدعته ؟ فهذا أخرى أن لا تقبل روايته .

وأمـــا من جهة الواقدي : فيلاحظ من كتاباته التشنيع حتى أن الطبري يبتعد عن نقـــل كثـــير مـــن أخباره لبشاعتها ، فالنسائي والشافعي يتمهانه بالكذب وهي أشد تهمة تُلصق بمن يروي الأخبار ، ويحذر البخاري وغيره من الأخذ بروايته (٢) .

أمـــا ســـيف بن عمر : فيسلك طريقاً غير طريق كل من أبي مخنف والواقدي فيعرض تسلسلاً تاريخياً ليس فيه تهمة للصحابة بل تبرئة لهم .

---

(١) انظـــر : الكفاية في علم الرواية ، والبغدادي ص١٩٥ ، وجميع كتب علم الحديث في بحث الجرح والتعديل.

(٢) انظـــر ما قال عن العلماء في كتاب الضعفاء الصغير للبخاري ص١٠٤ ، والجرح والتعديل (ابن أبـــي حاتم الرازي (٨/٢٠- ٢١) ، وكتاب المجروحين : ابن حبان (٢/٢٩٠) وتهذيب التهذيب : ابن حجر(٩/ ٣٦٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لهـــذا فرواية سيف بن عمر في الفتنة ومقتل عثمان تذكر باختصار أن عبد الله بـــن سبأ يهودي من أهل صنعاء ، فأسلم زمن عثمان ثم تنقل بين بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم .

فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ، حيث وجد من استجاب له ، وفيما عدا الشام حيث أخرجوه منها حتى أتى مصر فاستقر عندهم وبدأ ينشر سمومه [1] .

" وكـــان مما يقوله لهم : أعجب ممن يزعم أن عيسى سيرجع ، ثم قال لهم بعد ذلـــك صـــراحة أن عثمان أخذها بغير حق . وقد وجه أصحابه لتحقيق ذلك بالطعن في ولاة الأمصار مظالمهم ، وكتب إلى أتباعه في الأمصار لتنفيذ هذا الأمر ، فأخذ أتباعه فـــي كل قطر يكتبون- كذبا وبهتانا – عن المظالم والمفاسد التي عندهم ويرسلونها إلى الأقطـــار الأخـــرى ، فتقرأ الكتب على مسمع من الناس فيقول أهل كل قطر : إنا لفي عافـــية مما ابتلى هؤلاء . فذاع في كل مكان أن المفاسد والبلايا قد عمت ، وأن الحال قـــد بلـــغ من السوء مبلغه وأصبح أهل كل قطر يتصورون بأن الأقطار الأخرى تعاني من الظلم والفساد وسوء الحال إلا قطرهم لأنهم لا يرون شيئا من دلك .

فلمـــا شـــعر عثمان رضي الله عنه بأن شيئا ما يحال ضده في الأمصار كتب إلـــيهم " وإمـــا بعد : فإني أخذ العمال بموافاتي في كل موسم ، وقد سلطت الأمة منذ وليـــت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يرفع على شئ ولا على أحد من عمالـــي إلا أعطيته ، وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم ، وقد رفع إلى أهـــل المدينة أن أقواما يشتمون وآخرين يضربون [2] "فيا من ضرب سرا وشتم سرا ،

---

(١) انظـــر : تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والرسل) ج٤ ص٣٣١ وص٣٤٠ وما بعدها . والغريب أن بعـــض الـــناس يـــزعم أن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية ليس لها وجود حقيقي رغم أن جميع كتب الـــتاريخ ذكـــرته .وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ج٢ ص٤٢٦ عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ، وذكـــره الذهب في كتابه (المغني في الضعفاء) ج١ ص٣٣٩ ، فإذا كانت كتب رجال الحديث وكتب التاريخ تذكر عبد الله بن سبأ فهل يبقى بعد ذلك شك في وجود هذا الرجل ؟

(٢) يشير بذلك على الأخبار التي كانت تأتي عبر الكتب تتحدث عن المظالم في الأمصار .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ادعى شيئا من ذلك فليوافِ الموسم ، فليأخذ بحقه حيث كان مني أو من أعمالي ، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين ".

فلمـــا قـــرأ لكـــتاب في الأمصار بكى الناس ودعوا لعثمان ، وقالوا : إن الأمة تمخـــض بشر .فابن من سبأ ما زال يعزي قلوب الناس ، وكان المكان الذي رتع بينهم حســـب ما يريد ويخطط . وهكذا سيرهم جميعا إلى المدينة .. إلى عثمان ليحاجوه في المظـــالم المزعومة – ويذكروا له أخطاؤه ويحملوه على الإعتراف بها فإن فعل زعموا بعـــد ذلـــك للـــناس أنه لم يتركها ، فيحل لهم بذلك دمه – فيتولى الخلافة من هو أحق بالخلافة منه .

وكـــان قـــد امتنع أهل مصر بأن عليا أحق بالخلافة منه .. وامتنع أهل البصرة بأن طلحة أحق بها ،وامتنع أهل الكوفة بأن الزبير أحق بالخلافة ، وذلك حتى إذا ما تم قتل عثمان رضي الله عنه اختلف فيما بينهم فتبقى الفتنة بين المسلمين [1] قاتل الله خبث اليهود وكيدهم .

وقـــد خـــرج مـــن مصر عدد كبير من الناس لهذا الغرض ووصلوا إلى الدينة وأرســـل كل وفد على صاحبة : أهل مصر إلى علي ، وأهل البصرة إلى طلحة وأهل الكوفة إلى الزبير .

وتذكـــر بعض الروايات الصحيحة أن عثمان رضي الله عنه خرج إلى هؤلاء الـــناس خـــارج المدينة فدعاهم إلى الإحتكام لكتاب الله فاحكموا ، ورد عليهم كثيرا من الـــتهم الـــباطلة وتعـــاهدوا واتفقـــوا وأخـــذ عليهم ألا يشقوا عصا الطاعة ولا يفارقوا جماعة[2].

ثـــم غادروا أماكنهم باتجاه بلدانهم [3] – كل حسب جهته – وظل المسلمون في المدينة أن الأمر انتهى ، فخرج كثير منهم إلى الحج وكان ذلك في شهر ذي القعدة .

---

(١) ابن حجر الإصابة فيتميز الصحابه ج٧ ص٧٤ .
(٢) انظر ذكر هذه المآخذ والرد عليها في كتاب "العواصم من العواصم "ص٦٣ وما بعدها .
(٣) الدينوري الأمامة والسياسة ج١ ص٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكـــن الـــثوار بعـــد ذلـــك رجعـــوا إلى المدينة وسمع أهل المدينة التكبير في نواحـــيها، قـــال أهـــل مصر : أخذنا مع البريد كتابا موقعا من عثمان يأمر بقتلنا ، قال علي :

كـــيف علمـــتم يـــا أهل الكوفة ويا أهل البصره بخير الكتاب المرسل إلى والي مصـــر وقد سرتم مراحل على طريق بلدكم ؟ وهذا والله أمر أبرم بالدينة فقال الثوار : ظنوا ما شئتم فلن نحيد عن طلب عزل عثمان .

ويبدو أن هناك أدلة كثيرة تكشف لنا أن أهل الكتاب مزور على عثمان رضي الله عنه ، وذلك :

١. جـــاء في بعض الروايات الصحيحة أن حامل هذا الكتاب كان يسير على مقربة من أهـــل مصر فيعترض لهم ثم يفارقهم ويسبقهم حتى قالوا : مالك ؟ إن لك لأمرا ما شأنك ؟

فأجاب : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ففتشوه فإذا هم بالكتاب [1] وواضح من تصرفات هذا الرجل أنه كان يقصد أن يلفت إليه الأنظار .

٢. حديـــث علـــى رضي الله عنه حين قال : كيف علم أهل البصرة وأهل الكوفة بذلك ومعنى هذا أن الأمر قد اتفق عليه بالمدينة .

وكـــان التوقيت الذي اختاره الثوار مهما إذ أن كثيرا من أهل المدينة كان قد خرج إلى الحج في الفترة التي غادر فيها الثوار المدينة وقبل عودتهم إليها ثانيا .

ومـــن ناحية أخرى ، فقد كتب عثمان إلى الأقطار يستنجد بهم وقال في كتابه عن الـــثوار ك إنهـــم أغاروا علينا في جوار رسول الله عليه الصلاة والسلام وحرمه وأرض الهجرة ، فخرجوا . ولكنهم سمعوا قبل وصولهم إلى المدينة بمقتل عثمان فعادوا إلى بلادهم.

---

(١) ابن شيبه :كتاب تاريخ المدينة ج٣ ص١٢٣ - الأمام احمد بن جنبل * كتاب فضائل الصحابة *.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقـد حـال الـثوار بين عثمان ووصول الماء إليه ، وجاءت زوج رسول الله صـلى الله علـيه وسلم على بغله لها والماء معها فقيل أم المؤمنين أم حبيبة ن فضربوا وجه بغلتها ، فهربت البغلة بأم المؤمنين وكادت أن تموت .

وخاف الثوار قدوم النجدة من خارج المدينة فرأوا أنه لا ينجيهم إلا قتل عثمان لأن الناس سينشغلون بقتله .

فدخلـوا الـدار لقتل عثمان وكان بيده القرآن بع فكان كلما دخل كلما دخل إليه رجـل قال له : بيني وبينك كتاب الله فيخرج حتى دخل إليه الغافقي أحد الثوار فضربه بحديدة وضرب المصحف برجله ، وجاءت زوجته نائلة بنت الفرافصة تحجز عنه أحد المجرميـن فضـرب يدهـا فقطـع أصابعها وضرب عثمان فقتله . وكان مقتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة في الثامن عشر من ذي الحجة عام ٣٥هـ .

مـال بعض الثوار إلى تولية على رضي الله عنه وعلى رأسهم ابن سبأ، وكان أكـثر الصـحابة متفرقيـن في الأمصار ولم يبق بالمدينة منهم سوى عدد قليل وعلى رأسهم طلحة والزبير . وقد تردد بعض الصحابة في بيعة على ، كسعد ابن أبي وقاص وعـبد الله بـن عمر ،وتخلف بعض الأنصار كحسان بن ثابت ومسلمة ابن مخلد ،أبي سعيد الخدري ، وتمت بيعة على بالأغلبية بالرغم من تخلف بعض الصحابة ممن كانوا بالمدينة[1] والبعض الآخر بمكة [2] .

ولمـا كـان أمر المسلمين لا يستقيم دون خليفة فقد أتى جماعة من المهاجرين والأنصـار عليا وألحوا عليه أن يلي أمر المسلمين [3] ، وذلك يوم الجمعة ،، من شهر ..... عـام ٣٥هـ وكـان أول من بايعه طلحة، ولكن ابن العربي يرد رواية الإكراه وينقذها من وجوهه ، ويثبت بأن البيعة كانت صحيحة بدون إكراه[4] .

---

(١) الطبري ج٣ ص٣٠٤ ة، كذلك ابن أبي الحديد ج٣ ص١٩٢.

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال ص١٤٠

(٣) أبو زيد شلبي : الخلفاء الراشدون ص١٩٥ .

(٤) انظر: العواصم من القواصم ص١٤٣- ١٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد حال الثوار بين عثمان ووصول الماء إليه ، وجاءت زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة لها والماء معها فقول أم المؤمنين أم حبيبة ن فضربوا وجه بغلتها ، فهربت البغلة بأم المؤمنين وكادت أن تموت .

وخاف الثوار قدوم النجدة من خارج المدينة فرأوا أنه لا ينجيهم إلا قتل عثمان لأن الناس متعاطفون معه .

فحاصروا الدار لقتل عثمان وكان بيده القرآن يع فكان كلما دخل كلما دخل إليه رجل قال له : بيني وبينك كتاب الله فيخرج حتى دخل إليه الغافقي أحد الثوار فضربه برجله وضرب المصحف برجله ، وجاءت زوجته نائلة بنت الفرافصة تحجز عنه أحد المجرمين فضربت يدها فقطع أصابعها وضرب عثمان فقتله . وكان مقتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة في الثامن عشر من ذي الحجة عام ٣٥هـ .

مال بعض الثوار إلى تولية على رضي الله عنه وعلى رأسهم ابن سبأ، وكان أكثر الصحابة متفرقين في الأمصار ولم يبق بالمدينة منهم سوى عدد قليل وعلى رأسهم طلحة والزبير . وقد تردد بعض الصحابة في بيعة على ، كسعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ،وتخلف بعض الأنصار كحسان بن ثابت ومسلمة ابن مخلد ،أبي سعيد الخدري ، وتمت بيعة على بالأغلبية بالرغم من تخلف بعض الصحابة ممن كانوا بالمدينة[1] والبعض الآخر بمكة [2] .

ولما كان أمر المسلمين لا يستقيم دون خليفة فقد أتى جماعة من المهاجرين والأنصار علياً وألحوا عليه أن يلي أمر المسلمين [3] ، وذلك يوم الجمعة ،، من شهر ..... عام ٣٥هـ وكان أول من بايعه طلحة، ولكن ابن العربي يرد رواية الإكراه وينقدها من وجوهه ، ويثبت بأن البيعة كانت صحيحة بدون إكراه[4] .

---

(١) الطبري ج٣ ص٤٠٣ ة، كذلك ابن ابي الحديد ج٣ ص١٩٢.

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال ص١٤٠

(٣) ابو زيد شلبي : الخلفاء الراشدون ص١٩٥ .

(٤) انظر: العواصم من القواصم ص١٤٣- ١٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبهـذا أصبح على رضي الله عنه هو الخليفة الرابع ، ونظرا لأن الفتنة كانت كالبحر المائج ، ولذ فإن مهمة علي كانت صعبة ، كما أن علاجها على غاية من الخطورة وقد وصف تلك الحالة الأستاذ الأفغاني حيث يقول [1] ."بويع على بالخلافة وإن الأمور الملتوية معتاصة .وقد ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن عدوة عن أسامة بن زيد أن رسول الله * أشرف على اطم من اطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر [2]".

بدأ الخليفة على بن أبو طالب رضى الله عنه عهده ،ولم يكن انتخابه مثل انتخاب من سبقه من الخلفاء[3]. فعند موت عثمان أقبل الناس يهرعون إلي بن ابي طالب فتراكمت عليه الجماعة بالبيعة[4] فقال : أليس ذلك الحكم، وإنما ذلك لأهل بدر ؛ أين طلحة والزبير وسعد؟ فأقبلوا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناس[5].

وقد بادر على لما عرف عنه من الشدة في الحق بعزل الولاة الذين ولاهم عثمان وكانوا مثار للفتنة سبباً في خروج الثوار عليه،؟ وهذا الأمر طبيعي أما الثوار ومنهم قتلة عثمان والمطالبون بدمه،وهم من يجب أن لا يفلتوا من العقاب.ولكن كيف يعاقبهم وهم ما زالوا بالمدينة بحالة قوة وهيمنه حيث أن المعاقب لابد أن يكون في حالة قوة، ولهذا أبقى الثوار مما أتاح لخصومه سبيلاً إلي اتهامة بإنه آوى قتلة عثمان رضى الله عنه ، وتلك الإشاعات التي كان يطلقها أتباع ابن سبأ ،ويبدو أن هذه الحالة

---

(١) سعيد الأفغاني :عائشة والسياسة: (ص٧٥)

(٢) ابن كثير : شمائل الرسول ص ٤٠٣.

(٣) ابن الأثير ج٣ ص ٣٠٢ .

(٤) الطبري ج٣ ص ٤٠٣ .

(٥) انظر العقد الفريد ج٣ ص ٩٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليســت عدم ثقة بين الراعي والرعية بقدر ما هي الإشاعات وجدت مكانا لها في بعض النفوس ،مما أدى إلي خصومة بين على وبين معاوية.

ولهــذا نجد أن معاوية لم يدخل في بيعة على ، لأن هدف أتباع ابن سبأ لم يكن الــتخلص مــن عــثمان فقط[1]،وإنما كان يرمى إلي أحداث الفتنة بين المسلمين ، لهذا اســتطاعوا أن يســبقوا بخبر مقتل عثمان إلي معاوية والي الشام ،ويضيفون على هذا الخــبر تآمر على على ذلك ،وإتفاقه مع الثوار .وكان دليلهم على صحة ما يقولون هو تولــي علــى الخلافة بعد عثمان ،ولهذا أعلن معاوية عصيانه وعدم المبايعة وتطورت الأحداث حتى اضطر الخليفة على بن أبي طالب إلي خوض المعركة .

وبلــغ أمــير المؤمنيــن على بن أبي طالب الخبر وهو بالمدينة حينما خرجت عائشــة إلي مكة ومنها إلي البصره كي تطلب من المسلمين أن يقوموا ليعاقبوا الثوار- على قتلهم عثمان -. لأن الخليفة على بن أبي طالب لا يستطيع مجابهتهم وهم في حالة مــن القوة بالمدنية وخرج كذلك طلحة والزبير ،وما ذلك إلا من نتائج الفتنة .ولكن عليا -خرج -كما يروى الطبرى [2]-إلي البصرة بعد أن دعا وجوه أهل المدينة[3]وقال لهم: " إن آخــر هــذا الأمر لا يصلح إلا بما يصلح به أوله، فانصروا الله ينصروكم ويصلح لكــم أمــركم " فانتدب معه ناس وثقل آخرون ،فخرج من المدينة وهو يرجوا أن يلحق بالزبــير وطلحة [4] قبل أن يصل البصرة ،واستخلف على المدينة "سهل بن حنيف "فلما وصــل الــربدة أتاه خبرر سبقهم فأقام بها وأرسل محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس، وكتب معهم كتابا إلي أهل الكوفة هذه صورته :

---

(١) ابن الأثير ج٣ ص ٣٠١ .

(٢) الأمم والملوك :ج٦ ص ٢٩.

(٣) د.عبد الرحمن بخيت :عصر الخلفاء الراشدين ص ٢٧٤.

(٤) الأمم الوفاء محمد الخضرى ص ٢٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنـــي اخترتكم على الأمصار ،وفزعت إليكم أما حدث ،فكونوا لدين الله أنصارا وأعوانا وانهضوا إلينا ، فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا[١] .

وكـــان مـــن رأي أبي موسى الأشعري أمير الكوفة قعود الناس عن هذه الفتن فلمـــا ســـأله أهـــل الكوفة عن الخروج إلي على والقتال معه ،قال : " وإنما هما أمران القعـــود فـــي سبيل الآخرة ،والخروج في سبيل الدنيا ،ولكن لم يخرج مع محمد بن أبي بكـــر ومحمـــد بن جعفر أحد، فأغلظا لأبي موسى .فاقل لهما"والله إن بيعة عثمان لفي عـــنقي وعـــنق صـــاحبكما .فإن لم يكن بد من القتال فلا نقتل أحدا حتى فرغ من قتله عثمان ،حيث كانوا" فرجعا إلي على بالخبر ،فلقياه بذي قار فأرسل بدلا منهما مالك بن الحـــارث الأشـــتر .وعبد الله بن عباس ،فلما قدما الكوفة كلما أبا موسى، واستعانا عليه بنفر من أهلها فقام وخطب الناس وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال:

أيها الناس إن أصحاب الرسول ﷺ صحبوه أعلم بالله وبرسوله ممن لا يصحبه، وإن لكـــم عليـــنا لحقا.وأنا مؤد لكم نصيحة، كان الرأى لا تسخفوا بسلطان الله وأن لا تجـــتروؤا علـــى الله ،وأن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا فهـــم أعلـــم بمـــن تصـــلح له الإمامة وهذه فتنة صماء : النائم فيها خير من اليقظان ، والـــيقظان خير من القاعد ،والقاعد خير من القائم ،والقائم خير من الراكب ، والراكب خـــير مـــن الساعة ،فكونوا جرثومة[٢] من جراثيم العرب، فأغمدوا السيوف وأنصلوا[٣] الأســـنة واقطعـــوا الأوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة [٤]

---

(١) الكفايـــة فـــي علم الرواية الخطيب البغدادي (أحمد بن على ثابت) (ت٤٦٣هـــ) مطبعة السعادة ، مصر ط١ ١٩٧٢م.

(٢) الجرثومة :الأصل.

(٣) أنصل :ازال النصل .

(٤) انظر اتمام الوفاء- الخضرى بك ص ٢٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فـــرجع ابـــن عباس والأشتر إلي علىّ بالخبر ، فارسل الحسن بن على وعمار ابـــن ياسر فأقبلا دخلا المسجد فقال الحسن لأبي موسى :ولم تثبط الناس عنا؟ فوالله ما أردنـــا إلا الإصـــلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شتى فقال :صدقت بابي انت وأمي، ولكن المستشار مؤتمن ،سمعت رسول الله ﷺ يقول " إنها ستكون فتنة القاعد فيها خـــير مـــن القائم ،والقائم خير من الماشى ،والماشى خير من الراكب[1] وقد جعلنا الله إخوانا ،وحرم علينا دماءنا وأموالنا".

ومـــن الواضح أن على بن أبي طالب (رضى الله عنه) لم تكن نيته القتال أبدا يذكـــر بسنده عن عبد الله ابن الزبير قال :لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلي جنـــبه ،فقـــال :يـــا بنى : لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ،وإني لا أراني سأقتل اليوم مظلومـــا[2] قـــال :ابـــن بطال :معناه ظالم عند خصمه ومظلوم عند نفسه لأن كلا من الفريقين كان يتأول أنه على الصواب[3].

وتؤكـــد كثـــير من الروايات أن الزبير رضى الله عنه لم يشترك في القتال بل تـــرك المعـــركة وذهب، فتبعه رجل من بني تميم اسمه عمرو بن جرموز فقتله بوادي السباع غدار[4] فكان قتله ظلما

وهـــذا يؤكد أن الزبير رضى الله عنه لم تكن في نيته القتال ،ولكن الفتنة كانت أقوى من أن يستطيع أحد تجاوزها.

ومعظـــم كتـــب الـــتاريخ تذكر أن عليا رضى الله عنه بعث- حين وصوله- القعقاع ابن عمر وسيطا . واتفق الطرفان على الصلح – وخطب على في الناس وقال:

ألا وإنـــي راحـــل غداً فارتحلوا "فحين رأي ابن السوداء [5]أن الناس قد اتفقوا، قـــال لأصحابه إنه، إن تصالح على مع عائشة فعلي دمائنا وإن عزكم في خلطة الناس

---

(١) حديث "ستون فتنة ..أخرجه أبو داود في الفتن رقم ٤٢٣٨.
(٢) فتح الباري :(٦/ ٢١٧).
(٣) فتح الباري (٦/ ٢١٩).
(٤) فتح البارى (٦/ ٢١٩).
(٥) هو عبد الله بن سبأ وهذه تسمية الطبري له.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فخـــالطوهم، وإذا التقي الناس غدا فأبداوا القتال،ولا تتركوا للناس مجالا للتفاهم [1] وقد ســـاعد على تنفيذ ذلك وجود أتباع ابن سبأ في الطرفين –وهذا ما حدث فعلا- فقبل أن يلـــتقى المســـلمون للصلح بدأ أتباع ابن سبأ بالقتال من جهته فظن كل من الفريقين أن صاحبه قد نقض عهده.

فوقعـــت معـــركة الجمـــل التي قتل فيها آلاف كثيرة من المسلمين ، كان منهم طلحـــة والزبير ولن يتمكن على رضى الله أن يوقف جماعته عن القتال وكذلك عائشة رضـــى الله عـــنها وكانـــت عائشة في هودج على جملها أثناء المعركة(ومن ثم سيمت موقعة الجمل) وكانت المعركة حامية الوطيس ،واستمر القتال سبعة أيام وقد جهز على رضـــى الله عنها عائشة بكل شيء تحتاجه وأرسل معها ابنه محمد ليوصلها حيث سار معها إلي خارج البصرة وذلك سنة ٣٦هـــ.

وبذلـــك حســـمت الفتـــنة في العراق ،ولكن بقى أمام على رضى الله عنه فتنة أخـــرى حركـــتها الســـبئية كان مسرحها بلاد الشام بدأ على رضى الله عنه ينظم أمور العـــراق ،ويعيـــن الولاة ،وهذه الناس قليلا واستراحوا من جو المعارك والقتال ، ولكن ذلك لم يطل ، فقد بدأ على يجهز جيشا استعدادا لمعركة يتوقعها مع معاوية.

كـــان معاوية يطمع في الاستقلال بالشام[2] ولهذا أرسل على إلي معاوية جرير ابـــن عـــبد الله البجلـــي يدعـــوه لأن يدخل فيما دخل فيه الناس من البيعة له فإمتنع[3] واستشـــار أصحابه ورجاله ومنهم عمرو بن العاص،وقد اقتنع بما قاله وجوه الشام بذلك الأمر والزام على بدم عثمان والإجماع على قتاله[4] .

---

(١) تفصيل هذه المؤامرة في تاريخ الطبري ج٣ ص ٥٠٧.

(٢) الإمام على وفضائله – م ١٣.

(٣) انظر الخلفاء الراشدون أبو زيد سلبي ص ٢٠٣.

(٤) الطبرى :تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٥٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عـــاد جريـــر إلي على رضى الله عنه ،وحدثه بما رأي في الشام ،وأخبره أن أهلـــه اجتمعوا على معاوية ،وأنهم عازمون على القتال وإنهم يبكون عثمان،ويقولون إن عليا قتله.

ولـــم يكن الخطر ماثلا في الشام فقط بل امتد إلي مصر ،وذلك أن معاوية أراد أن يكســـب تأييدها، فحاول الاتصال بواليها قيس بن سعد وكاتبه ،إلا أن والي مصر لم يســـتجب إلي محاولات معاوية ورد عليه بكتاب قال فيه :(أتسومنى الخروج من طاعة أولـــي الـــناس والأمـــر...وأقـــربهم مـــن رسول الله ﷺ وسيلة .وتأمروني بالدخول في طاعـــتك)[1] وقد حسم هذا الأمر مؤقتا بعزل قيس وسعد وتعيين محمد بن أبي بكر واليا على مصر من قبل على بن أبي طالب.وازداد الأمر سوءا حين بايع عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان ،ووافق على محاربة على بن أبي طالب.

وكـــان أهـــل الشام قد اتفقوا على أن لا يمسوا النساء ،ولا ينامون على الفرش حـــتى يقـــتلوا قتلة عثمان[2]، ومن اعترض طريقهم بشيء نحو ذلك.وكما هو معروف فـــإن الشـــام مجمـــع لجـــيوش المسلمين لإنها ثغر عظيم يجاور الأمة الرومية ،فكانت الجـــيوش الإسلامية هناك على غاية الإستعداد وقد عاشرهم معاوية طويلا وهو الرجل السياســـي المحـــنك فامتلك قلوبهم، وصاروا طوع أمره ما أمرهم ائتمروا به وما نهاهم انـــتهوا عنه ومثل تلك القوة العظيمة سهلت له أن يرفض بيعة على ويتهمه بالاشتراك في دم عثمان أو على الأقل بحماية قاتله ،ولم يعمل أي عمل في القصاص منهم.

وكمـــا هي عادته رضى الله عنه، حاول بكل جهده منع المصادمة والقتال، فقد رجـــع جريـــر إلي على بالجواب ووصف له ما شاهده في مسجد دمشق وقال له:" لقد رأيـــت قمـــيص عثمان على المنبر والناس يبكون عنده ويندبون عثمان ويعاهدون على الأخـــذ بالـــثأر[3] .عـــند ذلك عرف على أن معاوية مصر على رفض البيعة ،فلم يجد

---

(١) الطبرى :تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٥٥٠.

(٢) المسعودي : ٣ مروج الذهب ص ٢٧٧.

(٣) معاوية بن أبي سيفان :ابن تيمية ص ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لديه إلا التحرك لقتاله لأنه في نظره خارج على الإمام،بل هو المانع من أخذ البيعة في الشام ولما عزم على رضى الله عنه على المسير إلي الشام بعد أن يئس من بيعة معاوية وعمر بن العاص ،وحضرت صلاة الجمعة صعد فحمد الله وأثنى عليه * وقال:

أيها الناس سيروا إلي أعداء السنن والقرآن ،وسيروا إلي قتلة المهاجرون والأنصار، سيروا إلي الجفاء الطغام[1]الذي كان أسلامهم خوفا وكرها ،وسيروا إلي المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن بأسهم [2]

نسترد من ذلك بأن حجة على رضى الله عنه هي كالآتي :إنه إمام تنبغى له الطاعة ، ولا يسوى المسلمون بينه وبين معاوية ،فمعاوية لا يعادل بعلي، وإذن فواجبه أن يبايعه ،كما نلاحظ أن حجة معاوية هي أن عليا قد آوى عثمان وأنه يرفض تسليمهم باعتباره ولي دم عثمان.

فالاختلاف بينهما ليس على منصب الإمامة ،وإنما كان حول قتلة عثمان يقول الغزالي في هذا الموضوع :" وما جري بين على ومعاوية كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة "[3] .

ومن الواضح منذ البداية أن كفة معاوية كانت هي الأرجح من ناحية القوة وعداد الجيش للأسباب الآتية :

١- أن أهل الشام كانوا من خاصة العرب، وقد ألفوا النظام والخضوع للسلطان إلي حد ما ،في حين أن أهل العراق وكانوا من البادية أعرابا يميلون إلي الحرية المطلقة التي تشبه الفوضى .

٢- أن مصر قد عزل عنها عاملها "قيس بن سعد" بمكيدة من معاوية وولي عليها محمد بن أبي بكر وهو ضعيف إذا قورن بقيس بن سعد..وبذلك أمن

1- الطغام :أوغاد الناس وأراذلهم.

2- انظر محمد رضا :الإمام على بن أبي طالب.

3 الغزالي "الدولة الأموية ص ٩٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معاويـــة جانـــب مصر التي يجب أن يكون فيها جيش قوى وحاكم قادر عل مناهضة معاوية.

٣- إن معاوية قد اجتذب عمرو بن العاص ، فانضمامه إلي معاوية أفاده كثيراً.

وعلى هذا يمكن القول أن عليا خرج إلي النخلية [١] ،ثم عقد مؤتمر ودعا ذوى الـرأي لمناقشـــة الموقف ، فأشار عليه أصحابه أن يقيم ويبعث الجنود،وأشار آخرون بالمســير .لكـــن عليا (رضى الله عنه) أبي إلا أن يباشر القتال بنفسه ،فجهز الناس ثم بعـــث زيـــاد بن النضر طليعة في ثمانية آلاف مقاتل ،وبعث معه ،شريح بن هانئ "في أربعة آلاف [٢] ،وخرج على من النخيلة بمن معه ،فلما دخل المدائن انضم إليه من فيها مـــن المقاتلـــة والجـــنود ،وولي على المدائن "سعد بن مسعود الثقفي ووجه من المدائن معقل بن قيس "في ثلاثة آلاف ،وأمره أن يأخذ طريق الموصل حتي يوافيه ،فلما وصل علـــى رضـــى الله عـــنه إلي الرقة أمر بإقامة جسر على نهر الفرات ليعبر إلي الشط الغربـــي مـــنه حيث الشام ، فأقام أهل المنطقة جسرا بعد تهديد" مالك بن الأشتر " لهم لإمتناعهم أول الأمر ،ثم عبر على والجيش بجميع توابعة وعتاده ،ووقف الأشتر يرقب حـــركة العبور ، حتى لم يبق أحد من الناس إلا عبر إلي الشام ،ثم عبر هو آخر الناس وتكاثرت الخيل حتى نهاية زحم بعضها بعضا[٣] .

يقـــول المســـعودي [٤] :إن معاوية سبق عليا إلي صفين وعسكر في سهل أفيح اختـــار قبل قدوم على:وأما على وجيشه فقد باتوا عطاشا قد حيل بينهم وبين الماء فقال عمـــرو بن العاص لمعاوية :إن عليا لا يموت عطشا هو وتسعون الفا من أهل العراق وســـيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم ..يشربون ونشرب فقال معاوية:ولا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان .وعلى يدور في عسكره بالليل فسمع قائلا يقول :

---

(١) الطبري :تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص ٥٦٢.

(٢) البداية والنهاية :ابن كثير ج٧ ص ١٠٦.

(٣) الطبرى ج٥ ص ٢٣٨.

(٤) ج٢ ص ١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيمنعنا القوم ماء الفرات وفينا الرماح وفينا الحجف(١)

وفينا عـــلى له صوله إذا خوفوه بالردى لم يخف

فأرسل على رضى الله عنه رسولا إلي معاوية ليقول له :إن الذي جئنا له غير المـــاء.لـــو سبقناك إليه لم نمعنك عنه فقال معاوية للرسول :إرجع فقل لعلي"ولا قطرة حتى تموت عطشا " فأمر على رضى الله عنه الأشعث بن قيس (٢) وقال له :أخرج في أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم في وسط عسكر معاوية فتشرب وتستسقي لأصحابك أو تموتـوا عن آخركم ،وأنا أسير في خيل ورجال وراءك،ثم دعا على الأشتر فسرحه فـي أربعـة آلاف من الخيل والرجال ،ثم سار على وراء الأشتر بباقي الجيش ومضى الأشـتر حـتى هجم على معسكر معاوية، فأزال أبا الأعور عن الشريعة وغرق منهم عـددا كبير من الرجال والخيل ،واضطر معاوية إلي الإرتجال عن الموضع الذي سبق أن اتخـذه ،ـــثم نزل على وجيشه في المواضع الذي كان فيه معاوية وجنده وعطش أصـحاب معاويـة لبعدهم عن الماء،فبعث معاوية إلي على يستأذنه في وروده ،استقاء الناس منه، فأذن له بما أراد(٣) .ثم أرسل على إلي معاوية يطلب منه الدخول فيما دخل فـيه الـناس ، والإقرار له بالبيعة ،وتوحيد الكلمة ،وحقن الدماء ولكن المراسلات بينها طالـت حـتى بلغت أكثر من شهر إذ بدأت في أواخر ذي الحجة من سنة ٣٦ هـ إلي نهاية شهر محرم من سنة ٣٧ هـ دون جدوى.

وفـي آخـر يـوم مـن المحرم سنة ٣٧ هـ بعث على إلي أهل الشام، أني احتججـت علـيكم بكـتاب الله ودعوتكم إليه، وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا إلا السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا(٤)

---

(١) الحجف التروس والدورق .

(٢) د.مصطفى السباعي :عظماؤنا في الإسلام ص..

(٣) عبد الرحمن بخيت :عصر الخلفاء الراشدين ص ٢٨٧.

(٤) الطبرى :ج٥ ص ١٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفـــي غـــرة صفر من سنة ٣٧ هـــ أصبح القوم جميعا على أهبة الاستعداد ، واشـــتبك الجمعان في قتال مرير ظل طوال اليوم ،ثم أسفر آخر النهار عن آلاف القتلى والجرحـــي وفـــي يوم الخميس –وهو اليوم الثاني للقتال –إشترك القوم في القتال ضار كـــان أشـــد من اليوم السابق ،وهكذا ظلت تلك المعركة القاسية ما يقرب من عشرة أيام متتالـــية حتـــي كان اليوم العاشر من صفر سنة ٣٧هـــ ،وتفاهم أمر المعركة ،وامتلأت الأرض بالجثث وازداد الأمر سوءا بأهل الشام، حتى أصبحت هزيمتهم قاب قوسين أو أدني ،فعند ذلك رأي معاوية أن يضع خدا لهذه المعركة .فاجتمع مع عمرو بن العاص، وطلـــب مـــنه الـــرأي والمشـــورة حـــتى يمكـــن الإبقاء على البقية الباقية من أبطال الإســـلام،الذين هزموا فارس والروم بالأمس القريب.فقال عمرو بن العاص لمعاوية:" هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا إجتماعا ولا يزيدهم إلا فرقة؟ فقال معاوية: نعـــم قال:نرفع المصاحف ،ثم نقول ما فيها حكم بيننا وبينكم ،فإن أبي بعضهم أن يقبلها وجـــدت فيهم من يقول بلي ينبغي أن نقبل فتكون فرقة تقع بينهم ،وإن قالوا:بلي نقبل ما فيها- رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب إلي أجل أو إلي حين.

فـــرفعوا المصـــاحف بالرماح وقالوا: "هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور أهل الشام؟ ومن الثغور أهل العراق بعد أهل العراق "فلما رأي الناس المصاحف قـــد رفعـــت قالوا :نجيب إلي كتاب الله عز وجل وننيب إليه[1] وأول من قال ذلك أهل الكوفة .

هذه هي الحيلة التي لجأ إليها عمرو بن العاص وأطاعه معاوية لإحداث الفرقة فـــي جيش على رضى الله عنه ، ولوقف القتال حينما، بعد ما أتعبتهم المعركة،وبعد أن رأي عمـــرو أن جيش أهل الشام على وشك الإنهزام.على أن مقولة الرجوع إلي كتاب الله فـــي هـــذه الحالة أمر غامض ،كما لم يغب عن ذهن على أن في ذلك حيلة وخديعة ومكيدة ولذلك خاطب جيشه قائلا:

---

(١) ربطـــت المصاحف فأول ما ربط المصحف دمشق الأعظم ،ربط على خمسة أرماح تحملها خمسة رجال ،ثم ربط جميع من كان معهم المصاحف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عـباد الله أمضوا على حقكم وصدقكم عدوكم فإن معاوية ،وعمرو بن العاص وابـن أبـي معـيط ،وحبيـب بن مسلمة ،وابن أبي سرح ،والضحاك ابن قيس ليسوا بأصـحاب دين ،ولا قرآن ،أنا أعرف منكم بهم ،قد صحبتهم أطفالا ،وصحبتهم رجالا ،فكـانوا شر أطفال ،وشر رجال ، ويحكم أنهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ولا يصلحون بما فيها ،وما رفعوها لكم إلا خديعة .ودهنا ومكيدة".

ويـبدو أن تلـك الكلمات التي خاطب بها على رضى الله عنه تناقض ما ذهب إلـيه بعض المؤرخون من أن عليا خدع بهذه الحيلة ،وأوقف رحى القتال بينما الحقيقة أنه أوقف القتال كي لا ينفض عنه جيشه.

فلمـا قـال علـى ما قال وحذرهم من المكيدة قالوا له: ما يسعنا أن ندعي إلي كتاب الله عز وجل فنأبي أن نقبله"فقال لهم :" فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فـإنهم قـد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ،ونسوا عهده ونبذوا كتابه ، فأصروا على موقفهـم وقـالوا : يا على أجب إلي كتاب الله وابعث إلي الأشتر أن يتوقف عن القتال ويأتـيك .فحـاول عل معهم فهددوه بتركه في ساحة القتال فاضطر رضى الله عنه أن يبعـث إلـي الأشـتر ليتوقف عن القتال فاستمهله الأشتر حتي يتم معركته فقد كاد أن ينتهى ممن يقاتلهم(١)

وقـد علت أصوات المعترضين وقالوا:ابعث إلي الأشتر فليأتك والا اعتزلناك فأرسـل إليه ثانية وأصر عليه وحذره من الاستمرار في القتال وإلا فإن الفتنة ستقع في الصـفوف ،فـتوقف الأشتر وهو يقول :إنها خدعة ورجع إلي على وحاول وأصحابه المتوقفيـن ،لكنه لم يستطع اقناع أحد منهم.مما جعل علي ينادي ويأمر ينادي :" قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينكم حكما"(٢) .

نشـب خـلاف من نوع جديد ،فبعد أن قبل على رضى الله عنه بمبدأ الرجوع إلـي كتاب الله والتحكيم .وقد اختلف القوم على من يختارون ليكون حكمهم ونائبهم إلي

---

(١) د.أمين القضاء :الخلفاء الراشدين.

(٢) د.سيد عبد العزيز سالم:تاريخ الدولة العربية ص ٢٧٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محكمـــة التحكيم،وأخيرا قبلوا أبا موسى الأشعري نزولا على رأي الأشتر[1] ولا يفوتنا أن نذكـــر أن موسى الأشعري كان حدث قبل وقعه "صفين "ويقول :إن الفتن لم تزل في بنـــي إســـرائيل تـــرفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتـــبعهما ،فقـــال سويد بن علقمة :إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحدا لحكمين ، قال: نعم أنت فكان يخلع قميصه سويد ويقول : لا جعل الله لي إذا في السماء مصعدا ، ولا في الأرض مقعدا ، فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال :أبا موسى ،أتذكر مقالتك ؟ قال: سل ربك العافية [2] .

وكـــان فـــيما كتاب في الصحفية أن يحيى الحكمان ما أحيا القرآن،ولا يتعبان الهـــوى،ولا يداهـــنان في شيء من ذلك، فإن فعلا حكم لهما ، والمسلمون من حكمهما براء .

---

(١) الطبرى :تاريخ الرسل والملوك ج٥ ص ٤٨.

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نص وثيقة التحكيم

هــذا ما تقاضى عليه على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ،قاضى على على أهل الكوفة ،ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ،وقاضى معاوية على أهــل الشام ،ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره، وأن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلي خاتمة .

نحي ما أحيا ، وتميت ما أمات.

فمــا وجــد الحكمــان مــع كتاب الله عز وجل –وهما : أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل :فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة.

وأخــذ الحكمــان من على ومعاوية ومن الجنود العهود والميثاق وإنهما آمنان على أنفسهما وأهلها.

علــى كــل حــال –كتب الفريقان عقد التحكيم واتفقا على اجتماع الحكمين في دومه الجندل[1] واجتمع الحكمان في شهر رمضان سنة ٣٨.

هكــذا انتهت موقعة صفين التي قتل فيها من المسلمين أكثر من تسعين ألفا[2]، وهو عدد لم يقتل مثله ولا قبله في جميع المعارك الإسلامية .

ظهور الخوارج:

بعــد عقــد التحكــيم عــاد معاويــة وأصــحابه إلي دمشق [3] وأخذ على في الإنصــراف ،ولكن نلاحظ شيئا بين عودة أهل الشام وأهل العراق ،فأهل الشام رجعوا متحديــن متفقي الكلمة ، أما أهل العراق فعادوا وقد وقع الخلاف بينهم ،فإن الذين كانوا بــالأمس يــنادون بالتحكــيم قــد أصبحوا ضد التحكيم ،وكانوا يعتقدون أن بيعة على شرعية، إذن فقبوله التحكيم نقض لهذه البيعة الشرعية،وانشق جماعة منهم على الجيش

---

(١) مكان بين العراق والشام.

(٢) ابن كثير شمائل الرسول –كذلك انظر–د. فتحية البنرواي – عصر الخلفاء الراشدين .

(٣) محمد الخضرى :إتمام الوفاء ص ٢٦٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قوامهـــا أثن عشر ألفا ،ورفضوا دخول الكوفة، ونزلوا حروراء بظاهر الكوفة، وارسل إلـــيهم على رسلا ليحاجوهم حتى يعدلوا عن رأيهم،ثم ذهب إليهم وحاجهم وطلب منهم التريـــث، والانتظار حتى يصدر حكم الحكمين.وهؤلاء هم الخوارج الذين كان لهم فيما بعد شأن في التاريخ الإسلامي .

يوم النهروان:

بعـــد أن انتهي التحكيم أخذ على يستعد لقتال معاوية من جديد لعدم قبوله البيعة ولمـــا عزم على المسير إلي الشام جاءته الأخبار بأن الخوارج ساروا نحو المدائن ،وقد عـــابوا عليه قبوله التحكيم [1] .وارتكبوا كثيرا من الكبائر ،وكانوا يعتقدون أنهم وحدهم المســـلمون حقـــا ،وأن جمهـــور المسلمين قد ارتدوا إلي الكفر،واستحلوا أموالهم ،فسار إلـــيهم علـــى ،وتمكن من إقناع طائفة منهم، وقاتل من بقى فانتصر عليهم ولم يقتل من أصحاب على رضى الله عنه سوى سبعة أشخاص[2].

عندما انتهى على من الخوارج – عزم على المسير إلي الشام فاستمهله رجاله ريـــثما يســـتعدون .غـــير أنهـــم أخـــذوا يتسللون الواحد وراء الآخر من المعسكر ولا يعـــودون. وبيـــنما كـــان رضى الله عنه يعاني من هؤلاء والطريقة التي سلكوها كان معاوية في نفس الوقت قد تمكن من الإستيلاء على مصر على يد عمر بن العاص سنة ٣٨ هـــ فاشـــتد حزن على على ضياعها وقتل محمد بن أبي بكر عامله عليها ، ولم يقـــف معاويـــة عـــند هذا الحد بل أخذ يبعث الجنود إلي أطرف البلاد الخاضعة لعلي للاستيلاء عليها ، فاستولي على الحجاز واليمن، فازداد بذلك معاوية قوة على قوته.

وفـــي خضـــم تلـــك الأحداث الجسام ،يأتى قدر الله عز وجل ليضع حدا لحياة الخليفة .

الراشـــدي الـــرابع علـــى رضـــى الله عنه ،كانت الفتن تجر في ذيولها الفتن، والمصـــائب .ثـــم جاء عام ٤٠ من الهجرة ولم يكد ينتهى هذا العام حتى رحل الخليفة

---

(١) ابن تيمية معاوية بن أبي سيفان ص ٦١.

(٢) أبو زيد شلبى/ الخلفاء الراشدين ص ٢٠٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرابع على رضى الله عنه ، أم عن خبر التآمر عليه فقد ذكرت كتب التاريخ لهذه القصة في روايات متشابهة وها هي خلاصة ما رواه ابن سعد في طبقاته (١) والطبري في تاريخه(٢) .

التقي ثلاثة من الخوارج بعد معركة النهروان التي انتصر فيها على عليه وتحدثوا في أمر المسلمين ،وتذكروا مرارة يوم النهروان ومن قتل من أصحابهم فيها، ثم كان رأي الثلاثة أن يسعوا لقتل من كان سبباً في تلك الحروب والفتن وهم في نظرهم أئمة المسلمين آنذاك ،وكان هذا العمل في اعتقادهم قربه يتقربون بها إلى الله عز وجل وإما هؤلاء الثلاثة فهم:

-**عبد الرحمن بن ملجم** : وهو من أشد الفرسان ،شهد فتح مصر ثم قدم بها ،وكان ممن شايع عليا وكان معه يوم صفين ،ثم خرج عليه بعدها.

- **البرك بن عبد الله**- :واسمه الحجاج ،والبرك لقبه وكان من أهل البصرة يذكر أنه كان أول من اعتراض في التحكيم.

-**عمرو بن بكير التميمي** : وهو أحد رجال الخوارج ممن أشتهر بالقوة والشدة، وقد أجمع الثلاثة أمرهم على قتل أئمة المسلمين وتوزعوا الأدوار: فابن ملجم قال: أنا أكفيكم على بن أبي طالب في الكوفة،قال البرك بن عبد الله:وأنا أكفيك بمعاوية في دمشق ،وأما الثالث وهو عمرو بن بكير فكانت مهمته قتل عمرو بن العاص في مصر، وتعاهدوا على ذلك وحدودا ليلة السابع عشر من رمضان موعدا لتنفيذ مهمتهم وذهب كل منهم إلى البلد الذي سيكون فيه هدفه ، وأما البرك فقد فشل في قتل معاوية حيث قبض عليه وقتل أثناء تأديته للمهمة ، وأما من ناحية عمرو بن بكير فتربص لعمروا بن العاص ولكنه أخطأ في القتل حيث قتل خارجة بن حذافة صاحب شرطة عمرو بن العاص فأمسك به الناس وقتل .

---

(١) الطبقات الكبري لابن سعد (٣/ ٣٥).

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص ١٤٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويـــروى ابن سعد بسنده في الطبقات ما قام به ابن ملجم حين توجه إلى الكوفة لاغتيال علي فقال : (١)

قـــدم عـــبد الرحمـــن بن ملجم الكوفة ، فلقى أصحابة من الخوارج فكاتمهم ما يـــريد، وكـــان يزودهم ويزورونه ، فزار يوما نفرا من قبيلة تيم الرباب . فرأى إمرأة منهم يقال لها : قطام وكان على قتل أباها وأخاها يو النهران ، فاعجبته فخطبها فقالت: لا أتزوجك حتى تسمى لي (أي المهر)

فقال : لا تسأليني شيئا إلى أعطيتك

فقالت : ثلاثة آلاف ، وقتل على ابن أبي طالب .

فقال : والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل على ابن أبي طالب، وقد أتيتك مـــا ســـألت . ولقـــى عبد الرحمن بن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي ، فاعمله ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه إلى ذلك .

وبـــات عـــبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة التي صمم أن يقتل في صبيحتها عليا مـــع الأشـــعث بن قيس الكندي في مسجده حتى أسفر الصبح ، ثم أخذ أسيافهما وجلسا قرب المخرج الذي يأتي منه عليا فلما خرج وانقض عليه ابن ملجم ومكث على رضي الله عـــنه يـــوم الجمعة وليلة السبت وتوفي رضي الله عنه ليلة الأحد لإحدى عشر ليلة بقيت من رمضان سنة ٤٠هـــ .

---

(١) الطـــبقات الكـــبرى : ابـــن سعد ج٣ ص٣٦ ، وأيضا ذكرت كتب التاريخ الأخرى خبر استشهاده بروايات متشابة –انظر الطبري ج٥ ص١٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

ثبـــت من خلال البحث أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ لم يكن له يد لا من قريـــب ولا من بعيد في قضية فتنة عثمان رضي الله عنه بل على العكس من ذلك فقد حاولوا تهدئة الأمور ولدفاع عن عثمان ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

أيظـــا إن اختلاف على رضي الله عنه مع عائشة وطلحة والزبير في الرأي لم يكـــن حول قضية معاقبة الثوار أو عد معاقبتهم ، وإنما في توقيت العقاب وكيفيته فعلى رضـــي الله عـــنه يـــرى تأجيل ذلك لأن الثوار في حالة قوة حتى لا تتكرر المأساة ، والآخرون يرون الإسراع في ذلك ، وكلهم مجتهد مأجور على أي حال

وقد اتضح لنا جليا أن خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام ينطلقون في حكمهم وتصـــرفاتهم ورعايـــتهم لأمـــور الدولـــة الإســـلامية ومعالجتهم للأحداث من الإسلام وبشورى من المسلمين .

وعلـــى كل حال فإن أحداث الفتنة وما تلاها من أعقد قضايا التاريخ الإسلامي ولذلك فقد كانت مجالا خصبا للمستشرقين وتلامذتهم ليطعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ فاقتنصـــوا الـــروايات الضعيفة والمكذوبة لينسجوا من خلالها خداعا يحقق أهدافهم في تشويه الإسلام والمسلمين .

ولا شـــك أن وجـــود أيد خفية وأجسام غريبة داخل جسم الدولة الرسلامية أمر طبيعـــي ، فقـــد كان في عصر الرسول ﷺ المنافقون وفي عصر خلفائه المرجفون ولكن ينبغي على المسلم أن يميز بين هؤلاء المخلصين من المؤمنين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

١- إتمام الوفاء في تاريخ الخلفاء -الخضري .

٢- الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن على) ٧٧٣ - ٨٥٢هـ مؤسسة الحلبي .

٣- الإمامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري (عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٦ هـ ، تحقيق د. طه محمد الزيني ، دار المعرفة . بيروت -لبنان .

٤- البداية والنهاية - ابن كثير (إسماعيل بن عمر) ت٧٧٤هـ .الناشر: مكتبة المعارف بيروت لبنان ط١ ،١٩٦٦م.

٥- تاريخ الدولة العربية (دراسات في تاريخ العرب) -د. السيد عبد العزيز السالم ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الإسكندرية ١٩٨٢م.

٦- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) - الطبري (محمد بن جرير) ت٣١٠ هـ تحقيق محمد أبو الفضل ،بيروت

٧- تاريخ المدينة المنورة- ابن شبه (أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري) ت ٢٦٢هـ ، تحقيق فهيم وشلتوت - دار الأصفهاني - جده- السعودية ط٢ ١٣٩٣هـ .

٨- تقريب التهذيب - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) ت٨٥٢ ، ط١ المكتبة العلمية - المدينة المنورة

٩- تقريب التهذيب - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) ت٨٥٢ ، دائرة المعارف النظامية ،الهند ،ط١ ١٣٢٥هـ.

١٠- الدولة الأموية -د. يوسف العش ، مطبعة دمشق ٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١-الســـيرة النبوية :ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري) ت٢١٣ هـــ ، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد شقرون مصر ١٩٧٤ م.

١٢- صحيح البخاري -(محمد بن اسماعيل) ت٢٥٦هـــ - ومعه شرح ابن حجر المسمى فتح الباري - المطبعة السلفية .

١٣- الطـــبقات الكبرى (محمد بن سعد بن منيع البصري) ت٢٣٠ هـ ،دار صادر ، بيروت .

١٤- عائشة والسياسة - سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ط ٢ ١٣٩١هـــ -١٩٧١م

١٥-عظماؤنـــا فـــي الـــتاريخ - د. مصطفي السباعي . الناشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

١٦- العواصـــم مـــن القواصم - ابن العربي (القاضي محمد بن عبد الله بن محمد) ت٥٤٣ هـــ نشر لجنة الشباب المسلم ١٣٧١هـــ

١٧- فـــتح الباري بشرى صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن على) ت٨٥٢ هـــ طبعة المطبعة السلفية .

١٨-الكـــامل فـــي الـــتاريخ - ابن الأثير (على بن محمد) ت٦٣٠ هـــ المطبعة الأزهرية مصر ط١

١٩-الكفاية في علم الرواية - الخطيب البغدادي(أحمد بن على بن ثابت) (ت٤٦٣ هـــ) مطبعة السعادة ، مصر ط٢ ، ١٩٧٢ م.

٢٠- المغنـــي فـــي الضعفاء - الذهبي (محمد بن أحمد عثمان) ت٧٤٨ هـــ، تحقيق د. نور الدين ، دار المعارف ، سوريا ط١ ١٩٧١م .

٢١- تاريخ الأمة العربية : محمد أسعد أطلس ،مكتبة الأندلس ، بيروت لبنان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١-السـيرة النبوية :ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري)
ت٢١٣ هـ ، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد شقرون
مصر ١٩٧٤ م.
١٢- صحيح البخاري -(محمد بن اسماعيل) ت٢٥٦هـ - ومعه شرح
ابن حجر المسمى فتح الباري - المطبعة السلفية .
١٣- الطـبقات الكبرى (محمد بن سعد بن منيع البصري) ت٢٣٠ هـ
،دار صادر ، بيروت .
١٤- عائشة والسياسة - سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ط
٢ ١٣٩١هـ -١٩٧١م
١٥-عظماؤنـا فـي الـتاريخ - د. مصطفي السباعي . الناشر المكتب
الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
١٦- العواصـم مـن القواصم - ابن العربي (القاضي محمد بن عبد الله
بن محمد) ت٥٤٣ هـ نشر لجنة الشباب المسلم ١٣٧١هـ
١٧- فـتح الباري بشرى صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني (أحمد
بن على) ت٨٥٢ هـ طبعة المطبعة السلفية .
١٨-الكـامل فـي الـتاريخ - ابن الأثير (على بن محمد) ت٦٣٠ هـ
المطبعة الأزهرية مصر ط١
١٩-الكفاية في علم الرواية - الخطيب البغدادي(أحمد بن على بن ثابت)
(ت٤٦٣ هـ) مطبعة السعادة ، مصر ط٢ ، ١٩٧٢ م.
٢٠- المغنـي فـي الضعفاء - الذهبي (محمد بن أحمد عثمان) ت٧٤٨
هـ، تحقيق د. نور الدين ، دار المعارف ، سوريا ط١ ١٩٧١م
.
٢١- تاريخ الأمة العربية : محمد اسعد اطلس ،مكتبة الأندلس ، بيروت
لبنان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٢- الخلفـــاء الراشـــدون : أبو زيد شلبي ، مطبعة دار التأليف ، مصر ١٣٨٧هـــ

٢٣- الإمام على وفضائله : منشورات مكتبة الحياة بيروت ، لبنان .

٢٤- عصـــر الخلفـــاء الراشـــدين :د.فتحية النبراوي ، دار اللواء للنشر والتوزيع ١٤٠٦هـــ . مصر .

٢٥- عصر الخلفاء الراشدين : د. عبد الرحمن بخيت ، دار المعارف ، مصر .

٢٦- شـــمائل الرسول : ابن كثير (أبي الفداء اسماعيل بن كثير) ت٧٧٤ هـــ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ١٣٨٦هـــ ، مطبعة عيسى الحلبي .

٢٧- معاويـــة بن أبي سفيان : ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) ت٧٢٨ هـــ ، دار الكتاب الجديد بيروت – لبنان .

٢٨- الإمام على ابن أبي طالب : محمد رضا ، الطبعة الثانية . ١٣٩٠ هـــ مدار الكتب العلمية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner